

العراق، والمسار نحو التعددية القطبية

أيوب بابو بارزاني 5 شباط 2023

أدى ساحات الحرب الحالية هي الساحة العراقية، نظرا لثرواته الهائلة وموقعه الاستراتيجي وسهولة اختراقه نتيجة توفر ثروة هائلة في أربيل وبغداد من العملاء ذوي النفوذ والاقلام المأجورة، لا غنى عنهم لأية سلطة احتلال، برزوا بشكل خاص بعد الغزو الأمريكي واسقاط البعث عام 2003.

وذكرت CNN، يعتقد مسؤولون أمريكيون أن هجمات الطائرات بدون طيار على منشأة عسكرية في مدينة أصفهان بوسط إيران نفذتها إسرائيل، وذكرت صحيفة "وول ستريت جورنال" و"نيويورك تايمز" أن إسرائيل تقف وراء الهجمات، نقلا عن مسؤولين أمريكيين وأشخاص مطلعين على العملية.

خروج إيران من دائرة النفوذ الأمريكي الغربي (1979) شكل نقطة تحول جوهريّة في المعادلات الاستراتيجية العالمية وفرض نمط آخر من المواقف السياسية والعسكرية في المنطقة. خاض صدام حسين نيابة عن أمريكا والغرب ومشايخ الخليج حربا امتدت ثمان سنوات لكنها فشلت في اسقاط النظام الإيراني. وعلى مدى أكثر من أربعين عاما من هذا الواقع التاريخي وعلى مدار الساعة لم تتوقف مكينة المؤامرات الغربية ضد الجمهورية الإسلامية. تمكن خلالها الشعب الإيراني من تحويل الأزمات الى فرص وينمي روح المقاومة والبسالة ويضع بلاده في مصاف الدول الصناعية المتقدمة ويحفظ استقلالية قراره السياسي.

كما أثبت الشعب الإيراني انه شعب حي لا يقبل من حكومته تجاهل مصالحه الحيوية فيثور وينزل الى الشارع ويفرض مطالبه ويرغم الحكومة على مراجعة سياساتها وأخذ شكواه بعين الاعتبار، متفادياً الوقوع في منزلق الفتن، سميت بـ (الثورات الملونة) أو (الربيع العربي) وكانت آثارها كارثية دمّرت بلدان وشعوب المنطقة.

مقال ميشيل فوكو الشهير عن الثورة الإيرانية (ما الذي يحلم به الإيرانيون؟) يبدأ بحوار المؤلف مع ناشط إيراني في شوارع طهران كان يفور بالحماس الثوري في عام 1978:

"لن يتخلوا عنا أبدا بإرادتهم. ليس أكثر مما فعلوا في فيتنام".

ويقول (ميشيل فوكو) أردت الرد بأنهم أقل استعدادا للتخلي عنكم من فيتنام بسبب النفط".

وهنا تلقي نظرة على ما ورد في بيان إدارة معلومات الطاقة الأمريكية:

"كانت إيران خامس أكبر منتج للنفط الخام في أوبك في عام 2021 وثالث أكبر منتج للغاز الطبيعي في العالم في عام 2020. تمتلك بعضا من أكبر رواسب احتياطي النفط والغاز الطبيعي المؤكدة في العالم، حيث تحتل المرتبة الثالثة كأكثر احتياطي للنفط في العالم وثاني أكبر احتياطي للغاز الطبيعي في عام 2021. في نهاية عام 2021، شكلت إيران 24٪ من احتياطي النفط في الشرق الأوسط و12٪ في العالم. إلا أن إيران شحنت المزيد من النفط الخام، إلى الصين في المقام الأول، في عام 2021".

للمزيد من التفاصيل يرجى مراجعة تقرير:

E.I.A. U.S. Energy Information Administration. November 17.2022

واضيف من جانبي (كاتب المقالة) لن يتخلوا عن العراق بسبب النفط والغاز والموقع الجغرافي، ولاننسى أن واشنطن تتحكم بالملف المالي العراقي، من خلال إيداع العائدات المالية العراقية في حساب خاص (صندوق تنمية العراق) DFI في البنك الاحتياطي الفيدرالي الأميركي منذ عام 2003،

الحكومات الأمريكية والأوروبية لم تغض عينيهما عما يجري من تحولات عميقة في هيكل النظام السياسي العالمي -الذي أقامه الغرب ولمصلحته - وقد دخل مرحلة التصدع والتآكل، ولم يعد يصلح لعالم اليوم مع نهضة دول مستقلة عن الهيمنة الغربية في آسيا وأماكن أخرى من العالم.

أن يتحد النفط والغاز الإيرانيان مع روسيا، وهي قوة عظمى أخرى في مجال الطاقة. وفي الوقت نفسه تتحرك موسكو وطهران وبكين نحو ربط أنظمتها المصرفية، وإدارة ظهرهم للبترو دولار. ولا يقف التعاون في المجالات المذكورة انما يشمل المجال العسكري وهذا بقض مضجع (معسكر دول الناتو) ويزداد الخوف والقلق من انضمام العراق بثرواته الهائلة الى هذا الحلف الناهض، خاصة أن ثقافة الشعب العراقي بشكل عام مناهضة للاحتلال والتبعية لأية جهة كانت. ومن هنا لانشك في أن يأخذ الصراع الجيوستراتيجي منحى أكثر

خطورة في العراق للسيطرة الكاملة على توجهات حكومة السودان الإقليمية والدولية وان تعذر ستبذل مساعي لإسقاطها، كما ستتضاعف المجابهات وأعمال التخريب والاعتقالات بين إيران والغرب (الناتو) وحلفائهم في المنطقة.

تتلاحق التطورات في الشرق الأوسط بوتيرة سريعة، فقد صرح وزير الخارجية سيرغي لافروف في مؤتمر صحفي مع وزير الخارجية المصري سامح شكري في موسكو أن "روسيا وإيران وتركيا أعضاء في ترويكا أستاذنا، التي تتعامل مع التسوية السورية. لذلك، أعتبر أنه من المنطقي تماما أن أي اتصال آخر بشأن إعادة العلاقات بين تركيا وسوريا إلى طبيعتها سيضم أيضا روسيا وإيران.

ومن جانبه قال إبراهيم كالين مستشار السياسة الخارجية للرئيس التركي رجب طيب أردوغان: "نحن سعداء بانضمام إيران إلى هذه العملية. إيران طرف مهم. وأعتقد أنها ستكون قادرة على الإسهام في هذه العملية. إن مشاركة إيران في عملية التفاوض، التي تجري بواسطة روسيا، ستجعل الأمر أسهل. وكجزء من هذه العملية، نتحدث عن ضمان أمن حدودنا، وتحييد التهديد الإرهابي فيما يتعلق ببلدنا، وعودة اللاجئين السوريين، وعودة جديرة وأمنة".

وكشف كالين أنه من المتوقع عقد اجتماع على مستوى وزراء الخارجية بين روسيا وتركيا وسوريا وإيران "خلال الأسابيع القليلة المقبلة".

ليس من شك أن الملف الكردي وضع على طاولة المحادثات المقبلة وسيكون من الحكمة تبني نظرة جديدة أكثر عقلانية وفهماً للواقع التاريخي للمنطقة وأخذ الدروس والعبر من قرن من الدمار والخراب والتدخلات الخارجية الكارثية راح ضحيتها الملايين من أبناء شعوب المنطقة... دول الشرق الأوسط هي نتاج الحقبة الاستعمارية بعد الحرب العالمية الأولى بحدودها وانظمتها وقوانينها والعقلية المتحكمة في إدارة الدولة وثوراتها ولم يتاح لهذه الشعوب الحرية التعبير عن ارادتها الحرة. وهنا لا غرابة في ديمومة النزاعات والصراعات الدموية والتدخلات الخارجية الى يومنا هذا.

لا سغني هنا الا التنويه الى الجمهورية التركية وريثة الإمبراطورية العثمانية ومدى عدائها للشعب الكردي أينما كان، هذه العقلية الاستعمارية لا تسمح بإيجاد حلّ عادل وديمقراطي لأزمات -الشرق الأوسط المتعدد الهويات -وتحاول في الوقت ذاته جرّ إيران وسوريا والعراق الى تبني نفس الموقف تجاه الشعب الكردي. وهذا يعني المزيد من العنف والدمار والتدخلات الخارجية في المستقبل.

لنرى ما سيتمخض عن الاجتماعات المقبلة، وكيف ستكون مواقف الدول المشاركة وهل نمى الوعي السياسي للنخب الحاكمة وبلغ حدّ النضوج للخروج من العقلية الاستقصائية القديمة وسدّ جميع الثغرات للتدخلات الخارجية في شؤوننا الداخلية.

أننا هنا لسنا بصدد الزعامات المتاجرة بالقضية الكردية في إقليم كردستان، بل نعني 40 مليون كردي وقد ساهموا في محاربة المدّ الإرهابي الداعشي، بالأخص خوض المعارك الظاهرة في كوباني ومناطق أخرى حساسة، يتطلعون الى حماية هويتهم ويرفضون سياسة الاستئصال والصهر القومي ويتطلعون الى تحقيق العدالة والتمتع بكامل حقوقهم أسوة بالشعوب الحرة والمساهمة في تطوير وازدهار المنطقة في جو من التأخي الحقيقي لخير الجميع دون استثناء.

هذه أمور ممكنة لو توفر العقل السليم الذي يرى الأفاق البعيدة، ولديه النيات الصادقة ويعرف كيف يسدّ المنافذ أمام الأعداء لخلق الفتن بيننا، وقد سبقتنا إليها شعوب أخرى أصبحت نموذجاً للتعايش السلمي ووحدة الوطن وحققت الرخاء والسعادة لشعوبها.